التطور اللغوي ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين
"بيروت"

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر ...وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحتويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبامكاننا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية او بالحرى الى اللغة العربية القديمة .ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح، لا ضد غزوات اللغات الغربية المسلحة بقدرة علمية ، على الايصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامية » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة (المستشرق جاك بيرك).

ـ والتطور اللغوي ونشوء العربية مغامرتان في قلب الزمان ، وشوق الانسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع عالد الى شواطىء الحاضر ، محمل بلآلىء الاعماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اعاليه...ثم اكتشاف غني سعيد يعود بالبشرى المقامر . من هنالك كانت نشأة اللغة العربية ، وبهذا السبيل النشوئي تسير فلا تتوقف بعد اليوم .

فاللغة بالاصل وجدان يتراءى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين في ايهما نظرت تطالعك البهجة .

فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج انساننا العربي في اعتم المقلقات واخطرها ، ان في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

وعندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا .

وقد عاش هذا القلق العصري، مغامر، يتخطى، فكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضاءات معاصرة، تتأثر في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صعوبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جمة .

وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراءى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين ، في ايهما نظرت تطالعك البهجة .

من هنا كانت نشأة العربية ، وبمجراها تسير ، فلا تتوقف بعد اليوم .

العربية واللغات الاخرى :

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته .

لكن المنازل تغنى بسكانها ، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة اليها والوجوه المصورة عليها .

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل وافتقر غناها ، فهم روحها التي بها تحيا ، واذا قبحت العيون وشاهت الوجوه حالت المرايا وتعكر صفاؤها وافسد استعدادها، فالصور المطبوعة عليها وجهها الذي تبدو.

اللغات موطن الشعوب ومرايا أشواقهم .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملابساتها فى حياة العربي ، وعلى تحديدها وادراكها يتوقف تصحيح الاساوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تاثيرا شديدا وطبعتها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التاثير وهذا الطابع .

1 ــ طغيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة فى كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالغربةفى محيطه العربي وبين ذوي قرباه.

2 ــ الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تتحقق للعربي ، ما لم يلم الماما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

واننا فى حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا اعدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ، فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الغيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة فى العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم باكثر من لغة ليتسنى له ان يسير فى تيار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 ــ الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة فى الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والعقلي من كل الوجوه .

وليس فى جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب عرضية ، غير موضوعية ، خامرت اجيالنا ، فلم تلم بلغتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها الا ان فى نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان فى قانون نحوها ، وصرفها ، او املاءاتها او اشتقاقها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الفوضى .

ادوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال اقرب الى الغموض منها الى التبيان . ومحاولة الكشف عليها تبسط رايا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات أهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ أم وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية فى هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت فى ادوار ثلاثة ، مرتقية منها أم غير مرتقية .

1 ــ دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحديا غير مركب مثل (ba) وفى هذا الدور ولد الجدول الهجائي (ا ، ب ، ت ، ث ، ...) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة بعينها ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المضاعف والمتكرر بحركة الفكين .

2 ــ دور المقطعين : اى دور الجمع بين مقطعين واحديين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة فى مختلف اصواتها ، وفى آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (عووا) بمعنى حيوان يصوت او يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلات فى العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحديين فقط .

وباستقرار العربية فى الثلاثي بدات تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (عوى) بمعنى صوت الحيوان .

3 ــ دور المقاطع : اى دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور بقصد الانسان تلبية لحاجته الماسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت فى الثلاثي .

وختام تمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بأدوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وانها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حييت لغات وامينت لغات، وهنالك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الاخيرة وحدها الفت العهد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق الى متصرفة وغير متصرفة .

دور المقطع البسيط :

ا ــ الانسان الفطري: ان لبحث الانسان الفطري، علما قائما بذاته هو علم الانسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الانسان الفطري في موضوعي هو البحث عن اصواته السليقية ، التي استقرت في فايتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الاصوات لهجة ما لم تستقر .

اما اذا اخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها فرض التطور، واليك بعض الامثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحل الى حروفها، ش : معناه سن وهو ينظر الى مطلق النبات ، ج ومعناه جمل ، وهو ينظر الى مطلق الارتفاع،ر :ومعناه راس.

اما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له راس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر الى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحل الى حروفها ، ج : ومعناه ينظر الى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكانه للسحاب او للارض وهو تصور صحيح عن الجبل .

ومن هنا لا نطمئن الى القول ، بأن لغات العالم تفرعت عن مصدر واحد ، وانما هي وليدة اسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطبائع والظروف .

واذا كان الانسان الفطري لم يتوصل الى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فانما توصل اليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

واذا كان الجدول لا يضمن الدراسات نكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فانه يمكننا الاطمئنان الى انفصال اللغة عنه ثنائية فثلاثية .

كما يمكن الاسترواح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفا .

— ◆ —

ان الانسان القديم جمع بين مقطعين واحديين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الانسان يسعى وراء مقاصده في هذا الدور ، واخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي اكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الانسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاشتقاق .

واننا نورد هنا مثالين يوضحان ان الثنائي من وضع هذا الدور ، هما عبى ، والمعلات .

المثال الاول : عبى، تحلل الى حروفها ع : وتدل على الحيوان الزئيري ، ب وتدل على البيت .

ا ــ ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليل من باحثي الاشتقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع ان لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلا : اخي اصلها وخي :

ب ــ الحذف والتضعيف : وهذه ايضا ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمة الاهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الانسان حاكي الطبيعة بمختلف اصواتها ، وقصد في آخرها الى التاليف من منطقه بالمعنى الذي اوضحناه ، للتاليف والجمع بين مقطعين احاديين وترك ثروة هي اكثر المقاطع الثنائية.

ورأينا كذلك حالة لا بد منها فى نشوء اللغات ، واليه يرجع الثنائي بما فى ذلك المعلات ، راسا على وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .

— ◆ —

لقد كان بقصد الانسان تلبية لحاجته ، اذ كان يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدية وبين المقاطع الثنائية لتاليف دلالات مركبة . ان العربية اتخذت وحدتها فى هذا الدور واستقرت فى الثلاثي .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهذب الذي تم فيه للانسان كثير من الرقي ، واننا نستعرض ادوار النشوء فى بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير آخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجئات المحضة .

ولقد كان الانسان بحاجة فى هذا الدور الى الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقي والحضارة والتطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح المنطق.

ولقد قسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على اعتبار الثلاثي ، ولم تتغير فى اساسها ، وانما اختلفت فى نسب جعلت بينها تفاوتا ارتقائيا فقط ...

ـ وفى بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر فى التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج الى مجهود اكبر ، وعرض اوسع .

ا ـ يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته.

ب ـ تكثير اللغة وخوض الزيادة ...

ج ـ النضج اللغوي عند العرب كما يظهر فى قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتائجها .

د ـ المعاني التركيبية ، وطريقة الغربي فى وضع الرباعي من الثلاثي ...

هـ ـ المنطق اللغوي ... والتعبير عن الحاجة.

لقد بذل الانسان ما فى وسعه فى سبيل ان يخضع ما حوله من اجل معاشه ، واعمل الحيلة لتكوين منطقه بين مطالب العيش الجديدة فصارت له لغة على مقياس من تفكيره وحوائجه ...

ومن المعقول بأن المنطق اللغوي قد امتد الى آخر العصر البرونزي الذي تم فيه للانسان وضع الحجر الاساسي فى بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان فى المنطق اللغوي على غير تناسب ولا نظام ، اجتهد فى اصطناع كلماتها لابراز ما فى نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة ويجاور المسكن .

وتتالف من :

ا ـ المفردات ذات المقطع الواحد .. اصبحت فيما بعد الجدول الهجائي .

ب ـ المفردات ذات المقطعين ، وهي المعلات فى دور النضج اللغوي .

ج ـ واخيرا ذات المقاطع ... وهي فى النهاية ذات وحدة فى العربية منها تصدر كلمات العربية واليها تنسب .

— ◆ —

ولقد اخترعت الكتابة فى هذا العهد ، ما يثبت لنا التقدم الاجتماعي ، وعلى العقلية اللغوية الراقية ، ويشير الى سمو هذا القسم من الوجهة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية ابدا بمعنى ان الانسان لم يعد يتكل فى تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على المصادفات الطبيعية والملابسات الظرفية بل اصبح يلجا الى التاليف والتركيب عند الحاجة وحسب المقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 ـ لم يهتد اللغويون الى ترتيب جدول الهجاء على وجهه .

2 ـ وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة ومكانها ، فكان يزيد على الثنائي هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة .

وهنالك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكثار من اللغة ويرجع هذا الى فرقتين اساسيتين هما: التركيب والقصد .

ا ـ فالثلاثي فى المنطق اللغوي كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا فى مفهومه وان تعين بحكم دلالته وموضوعه والثلاثي فى

الاكثار اللغوي كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الاتية. :

2 ـ ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .

— ◆ —

بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بانه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه اولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا أصول في الوضع ، اعتبرها اللغاويون (الفيلولوجيون) اسمى وارفع ما عرفت امة من الامم، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لعرب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا ان نتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فروعها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضلة ، والاوهام المريبة التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي عن معقوله اللغوي الراقي بقاعدة على مواد اللغة .

أ ـ تصحيح المعاجم

ب ـ الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج ـ ان ناخذ الوضع الجديد على مقتضاة لنسد نقص اللغة وتكفي حاجتها .

معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، وفر العربي للغته كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه العمومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحيوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغتـــه .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء، وتدفع بها الى المد غير المنجزر .

ولو بقي العربي في جزيرته العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهـار والتطـور وتنظيـم تلـك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بداعي الخـروج مـن جزيرته ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لغته المعانـي التركيبية ما لم تؤديه له في النضج اللغوي ، ولقـد لاحظ ان معاني هذه اللغة لا تبنى سوى على الثلاثي ، كما لاحظ ايضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا انبثقت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمـن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في اول الثلاثي ولم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنبطت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 ـ زيادة البناء : وتتكون هـذه الزيادة مـن الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 ـ زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الاخر .

3 ـ زيادة التصريف:من قبل كتفعل،واستفعل، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 ـ اما زيادة الاسناد : كفربت ليسـت مـن اقسام الزيادة على معنى التاليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة او ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تضاف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربـي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة .

لاستحصال الرباعي والخماسي .

وان هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء ان يشك بها ومستوجبا الاخذ بها ، ولا بأس من ايراد امثلة تؤكدها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات : ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى الى انها دخيلة .

ولو عدنا الى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بان القرطاس يرجع الى قرط ، والقرط هو ورق الكراث، ولما كان الورق من البردي على نسق ، ابسط ، اضافوا اليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على اهم مميزات الورق النباتي المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجموعا الى السين يدل على السعة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

ـ وعنقاش : ومعناه المتجول فى القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع الى الثلاثي .

عنق : ومعناه شدة المسير ، والشين تدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير على غير نظام ، وهو المقصود من التجول فى القرى .

ـ وختلم : ويرجع الى ختل فى الاصل وهي موضوعة لاخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فاخذ العربي عن الاولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه فوائد اهمها :

1 ـ وضع حد للتعريب .

2 ـ وضع قاعدة صحيحة لابحاث اللغة .

3 ـ افادة غير محدودة فى الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 ـ تصحيح المعاجم عن الاقدمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما اليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث ـ اثير ـ ومثل شقحطب من شق ـ حطب ـ

وقد يظن بأن هذا الاخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الاقفال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية الى المستوى الذي كانت ستصل اليه لو بقيت فى محيطها بدون براح .

التطور فى اللهجة

للهجة منزلة كبرى وذات اهمية من اللغة ، ولا تقل شأنا عن الالفاظ ، لانها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا ان نقول ان تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الاجناس ويتكلمها خلق كثير فعلينا اذن ان نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة او لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

1 ـ التطور الصوتي :

ان الباحثين والمدققين عن اللهجات اخذوا بقايا التطور المستمر فى قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لانه لا يصح من كل وجوهه، وبالتالي لان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل انها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الامثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي :

يعقيد : وهو العسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلة مرة لها لبن لزج .

اللغويون لا يترددون فيما ذهب اليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية، مع اعتبار ان الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسعه .

ولكن القول بأن العربي مر بهذه الكلمات فى عهد من العهود اللغوية السابقة كافعال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا عجيبة ان يكون العربي قد وصف بهذه الافعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة على مسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الاثير الذي ينظر الى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص فى :

1 ـ بقاء اللهجة المقدرة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد فى الجاهلية على لسان الشاعر الاسود عنترة كلمة ينباع فى قوله :

ينباع من ذفرى غضوب جسرة
زيافة مثل الفنيق المكدم

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين في اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون في المعاجم القديمة الى بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 ـ ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري وابن منظور في لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم، كلمة نعم بانها نصت ينعم كما كذلك وردت في نعام .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال مضارعة اثرية بقيت في اللغة على سبيل التحفة الاثرية.

ورى بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي وتاج العروس بأن العربية مرت بعهدين :

ا ـ العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية على الحروف ، ومحافظتها على اسلوب القرآن الكريم بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المعنوي ـ مثل شيمال وشمال ـ .

ب ـ العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام العربية على الحركات وبتحررها ، ولكن تحررا موضعيا من الصوتية وبتركها قوانين تعد اللغة للتحرر على الاطلاق .

ونقدر ان نقول بان في هذا العهد بلغت اللغة الشوط النهائي من ترقي اللهجة .

ب ـ صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصل الثاني تطور اللغة العربية بأمور هامة جدا وهي :

ـ على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا مما يدلنا انه كان هنالك كلمات في اللغات العربية ولدت بعهود صوتية كما في المثل المتقدم سابقا ، شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بانها وردت كذلك بعهود كانت**اكثر صوتية** ، حيث كانت مركبة من حروف ذات اصول **لمدلولات** بعينها .

ـ يفرض على المتكلم**ان** يبدا كلامه بحركة ساكنة، وان ينهي حديثه بتحرك ، نظنه الواو كما في الاشورية والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنا على ان اللغة مرت في عهد اكثر سكون ونطقت فيه ساكنة الاول مثل : اجفيل ، واخريط ، امشوشب ، وقد اضيفت الهمزة للتوصل الى النطق الساكن من مثل : امرؤ امراة ابن الخ ...

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة او الواو ، ويدعو اليه احتفاظ عمرو بالواو في املائيته. ومن بديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جدا وان كان تطورها بطيئا ، وهكذا نرى بان عمرو ، كلمة زيدت عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بانها للتفريق بين عمرو وعمر فأمر هو اقرب الى التخريف منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

ا ـ النصوص الحميرية : مثل اخت امهو اى اخت امه .

ب ـ ما في لسان بعض القبائل من تحريك ضمائر الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف في الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج ـ احتفظت العربية بالوقف بالروم في بعض المواقف ، والروم مختلسة تميل الى الضم .

د ـ لقد زادت العرب النون في فعل فعلو واصبحت فعلون ، لتمكين المنطق والتخلص من الصوتية .

هـ ـ بناء فعلين ، يرجع بأمره الى بناء فعل فعلون فهذا من افعال الاتباع وهو قانون شائع في اللغة

الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن في هذا القسم هو انه من المؤكد انها محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقاء الساكنين ومعنى هذا ان اسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تتهيأ للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل، وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفا في كثير من مواضع الكلمة اى لم تعد تنطق كذلك باطراد ، ومن ثم كان وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفا في كثير من مواضع الكلمة لم تعد تنطق كذلك باطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

وفي اعتقادنا وبحثنا ان اللغة دارت دورتها وكانت طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلعت فيه من حركة الاخر، ولكنها تخبطت في تجارب كثيرة حتى خرجت العربية نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

ـ ولقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى صاحب كتاب (احياء النحو) درس هذه الظاهرة على وجه تعليلي نشوئي ولو **درس العربية للنهج التطوري** الذي ناخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية وغير رايه في اشياء كثيرة .

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يميت التطور الصوتي ولا يقصد الى التكثير والتزايد، ولكن وجدت هنالك أسباب عملت على حفظ تلك الاثريات في اللغة،مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقرار العربية في الوجهة التي قصد اليها العربي ، والتي تستطيع بها وحدها أن تكون لغة للمستقبل بين اشيائه الباقية .

الاسباب التي حفظت الاثريات

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاثريات في اللغة العربية هي :

1 ـ التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .

2 ـ القصد الكنائي : ومن ذلك ياجوج وماجوج .

3 ـ حداثة الارتقاء : ومن ذلك انظور وطومار

4 ـ الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلا .

1 ـ التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وان يحتفظ بمدلول معين ، فمن المعقول جدا الا يتأثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاثريات في هذا القسم من حفظ الاثريات من الافعال المضارعة .

1 ـ يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .

2 ـ يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .

3 ـ يعسوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .

4 ـ يقطين : نبات معروف .

ب ـ القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمةاو التركيبليس الا المعنى المثلى فقطومن الاثريات المحفوظة في القصد الكنائي ياجوج وماجوج .

اما القصد بكلمة ياجوج ما يلزم عن معناهما الكنائي من التاجيج المتدافع ، والتأجيج في كل شيء.

اما لغويا فياجوج فعل مضارع من ثلاثي أجج .

اما ماجوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التاجيج للمتدافع واظن انه كله يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية. فبقي لها امكنة واسعة رحبة.

وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورث يرث .

ـ الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاثريات في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولا الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفريغ اللغوي وضبط عين الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث اهميته الكبرى وهو تاريخ التفريغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المدبر .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بأن اللغة العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في اكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في المميزات المبينة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابسات اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية .

ومن ذلك ان المثنى شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كثارا يشهد بدقة العربية كلغة، ويشهد بمقدار التسامي اللغوي في طبيعة الفرد العربي .

التطور في اللغة

كان بامكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة تعرضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد تعرضنا لضربين اساسيينمن

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافضان يسندان الاهمية التي اعترضتنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عنينا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

ا ـ نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابهت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعرض في القدم .

ومنها صارت الى الثنائي والثلاثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في تطورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مغادرة العربي لجزيرته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثريات القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

ب ـ اللغويون الاولون :

لدعوى التطور من قبل **اللغويين الاولين** صفة ذات اهمية ، ولرايهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبدون اراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن نبدتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبدون رايهم وفي هذه الاراء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الزيادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بعث الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .

ولهذا الامتناع عن الزيادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، واخضعها لقانون بياني ثابت وامات ما هو متراوح الغوص فيها، وانعشها بحيوية اخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجرار وقد صرحت به غير مرة من المقدمة. وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قريش في افصاح محتوياته ، والذي امات منها القسم الفوضوي وقد **رجع بعض اللغويين** الى اعتماد تجديد هذه الفوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

ـ من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

ا ـ ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الضم اقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب ـ كان لابدال حرف اللين الهمزة تخلصا من الصوتية ، وليد ضرورة وهو متاخر عن قانون منع الانتقال .

ج ـ ان قانون الاتباع بالحركة متاخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها،وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فمنهن من نطقت بـ نئدلان، وكذلك اخرى تقول زئبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطا ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات **ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها** الى محيطات متطورة ومتحضرة وليس الى محيط خاص بجماعة معينة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات اخرى من جهات اخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

ج ـ تطور الافعال :

لقد سبق لنا ان بينا قاعدة الافعال في الاثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

تسوية الاختلاف بين ابواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل اوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 – دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل أمر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى اعجب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامري قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل الينا .

2 – يراع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال فى العهد الصوتي .

– يراع : فعل ماضي متخلف ...

– ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين، لان شكلية الحروف كان لها تاثير فى تمام له مفهوم فى طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تاثير فى المعنى واتمامه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب، وحاولت التخلص من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى فى الوضع الاخير .

3 – وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطأ والضعف والخوف .

– واول وهلة : اول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل

واعتبارها اصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة فى **باب فعل يفعل** ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

1 – التصحيح مع موجب الاعلال .

ب – الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا نقدم المثال الاخير والارقى

4 – وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد عبارة الفيومي فى كتابه المصباح ، وتصدق كل ما رايناه وجئنا به .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

– ان الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور اميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر فى انه يتبع المضارع .

– ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية.

– ان توحيد ابواب الافعال متاخر عن التحلل من الصوتية .

– الاعلال متاخر فى الطبع العربي .

تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم فى بحثنا عن تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فعيل ، فعل ، تستوي كلها فى اصل الدلالة ، وانها ارتقاءات عن فاعيل المات قصد ببعضها التنويع وبالبعض الاخر الاماتة .

ونرى بان الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل فى كل ثلاثي **مجرد بدون نظر** الى الابواب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين فى ابحاثهم حول صيغة (ايها القياسي) وحول ابحاثهم فى اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيغ اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي ان يعرض بها على كل المواد اللغوية، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مغادرة الجزيرة، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكتفى بما وصل اليه وامر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا فى المصدر من الفعل ان العرب استغنوا فى بعضه باسماء وقعت موقع المصادر كما فى وصاة مكان توصية وزكاة فاضاف تزكية وصلاة مكان تصلية .

تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقة وسامية، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما فى طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي، واما التصحيح مع موجب الاعلال فيفيد المعنى بتكلف او باضطراب ، كما فى طول فانه يفيد التكلف فى الطول.

الارتقاء فى تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

1 ــ هوية وتعني صوت الذئب ، وتعتبر اقدم الامثلـــة .

2 ــ الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتـــاب الايضاح ، ويظهر ان الاتمام اعلال بين ايدي التطور ، فمثلا نطقت اول مرة شوق .

ــ ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقيل : شيـــق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الياء مع خفة المتكلم .

ــ وخلاصة قولنا في تطور الاعلال هو : ان العمل كان على التصحيح اقدم عهود اللغة .

ــ ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح.

ــ ان الاتمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

ــ ان الاتباع يعمل في الاعلال على التناسب ولو لادنى ملابسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 ــ اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 ــ اثر التطور في الشعر .

1 ــ فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان ــ فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادنا الى :

أ ــ كان الجدول الهجائي بحركاته لغة للانسان القديـــم .

ب ــ نشأت العربية نشوا تطوريا عن الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج ــ تطورت العربية اللفظية عن اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظريـــة : فالبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التـــي عملها التطور في اللغة على مختلف الانمـــاء ســـواء في الاشتقاق ، والاعراب والموازين والاعـــلال والافعـــال والمصادر وتطلعنا على تلك المســافات التي بقيـــت واضحة في منطق القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلـــة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيـــان فهم يبتدعون لها وجوها من التعليل، كاختلاف القبيلة، تداخل اللغات ، والضرائر والشـــذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

ان التطور الذي قلنا عنه في المفردات يصـــدق عمله في الاسلوب والبيـــان على شتـــى اوضاعهمـــا ، فكتاب (المجاز) لمعمر بن المثنى المعروف بابي عبيدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اي اساليب ، والحق انها ابعد ما تكون عـــن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

2 ــ اثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانصقال والتشذيب، ولكي يتسني للباحث ان يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهنالك ابحر اميتت ، ان الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي ان البيان العربي ابتداء نظميا وتطور كذلك اخذ نحو التحلل ، وكان من آخـــر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع وبدل على التحام الترصيع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تأخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم القصائد .

اثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتـــى التطـــورات النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بان القرآن يجمع بين مختلف السور البيانية ويأتي بها على نحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتـــى من الاساليب في القـــرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح.

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني، فقولنا في ذلك ان روح البيان فيه مختلفة واجدر بنا ان ندرس

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية فى البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فاشد الكتاب تطرفا عنه اشدهم تعلقا به على الحقيقة ، لان البيان غذى القرآن والغاية، ان القرآن امات الفوضى فى اللغة واجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما اوضحنا فى الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور فى اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازين ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لغته ، ولن تطمئن بين اشياء المستقبل الباقية .

الا بازالة ما بقي متشبثا بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومغادرته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشددهم فى السماع وفى ما يكتم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية العصرية والمستقبلة .

التنقيح فى اللغة العربية

فى الفصول السابقة التي اوضحنا فيها تطور اللغات ونشوء العربية فى المقدمة ، رأينا عمل التطور فى الغربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حدا بعيدا دون ان تنتهي ، ولكنها مع ذلك اخذت بالاستقرار شيئا فشيئا واستمدت فى سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الاخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت فى محيطها بدون براح .

ولكن الامر الذي يضع اللغة فى مواضيع قلقة وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

1 ـ لغة القرآن الكريم :

ب ـ اللغة التي تبتدأ بالقرن العشرين .

وقد تتفاوت كلتا اللغتين تفاوتا يكون لا اقل فى اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم فى امر اللغة العربية ، وهذا الامر المتناقض ، وتهجمهم على اللغة العربية تهجما يجيزه هذا الدرع الذي يأخذون الناس به ، واعني به جمع لغات الجزيرة ، وبكلمة ادق تعبيرا لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة فى حين انهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج بابه المحدثون .

ـ ولا نكون على مقربة اذا قلنا بان موقف اللغويين المتفاوت باسباب اهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صبغة تعصبية صرفا .

فلقد تشددوا بمنطق الاستماع وعدم الحفظ اخذا على مذاهب الخصوم ، ان هذا الافراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا ماخذ شعروا به ، ولكنهم **دعوه تنقيحا** .

وينتظم التنقيح للغة العربية باربعة ادوار :

1 ـ كان بما قدمته قبيلة يعرب بن قحطان .

2 ـ كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرهم .

3 ـ بمعونة قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم فى كل عام .

4 ـ كان بعمل علماء المصرين ، الكوفة،البصرة، اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحتك بغيرها ...

ـ التنقيح الجديد :

ان الظروف التي رافقت العربي **بعد هجرته** من جزيرته ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا عما كان يقصد من لغته، فى هذين السببين يكمن مرض العربية الذي قصر بها مطالب العصر ، ناهيك من مطالب المستقبل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحا جديدا لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها من مطالب العصر ، وتطور المستقبل . ولا باس بتسمية ما نحاوله تنقيحا كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة اصبح ضروريا ان نقول ما هي الاهداف الاساسية التي تلخص التنقيح الجديد .

اهـــداف التنقيـــح الجديـــد :

ان من اهداف التنقيح الجديد ان :

1 ــ نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يعيننا ان نخلص العربية من عوائق الفوضى في افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب ؛ وفاقا لما اوضحناه فيما قبل.

كذلك يجب ان ناخذ بعين الاعتبار بان التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي في لغته ، ان في قواعد الاعلال او في كل ما يتفرع من بحث الافعال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 ــ يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان، وكذلك الرباعي وموازينه ، لان التزايد المستمر في اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق اى الموازين او قل التحرك من الداخل، لان العربية غنية في موازينها التي تبلغ الثلاثمائة للثلاثي الواحد ، كما اعطانا اياها سيبويه في كتابه النحو الضخم .

3 ــ تخصيص هذه الموازين مفردة او مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد، ففعال يخص بما يدل على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي في الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما راينا في وجوه التخلف .

4 ــ توحيد المعاني في المادة الواحدة ... ونعني بذلك جعل كل معاني المشتقات من مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة ام مزيدة ، مما يصـــح معـــه اشتقاق المجرد من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 ــ الاستفادة من قاعدة الدوائر او القاعـدة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها او وضعوها واميتت ...

6 ــ الاستفادة من سنة الرباعي وما اليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 ــ المعاقبة او الابدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هي ذات اهمية خطيرة في نتائجها .

ومن مجموع هذه الاهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقـــة تلبي بمتطلبات وحاجات العصر وتمد المستقبل بمـــا يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجـة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيـــان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف،ونحو وسجع وغير ذلك من التابعيات ، كالاعجاز والتضمين ، والفك ، في حمل الادغام للدلالة والتصحيح في موجبه الاعـــلال لغرض ما .

مستقبل اللغة العربية

1 ــ داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربيـــة لا تتنـــاول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفتقدون البيان عنه بأى الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا في متحف يكتفي الناس منها بالنظر اليها . وانني غير مطمئن الى ان الجماعة تقرر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعني معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكهناه وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنهـــا المعاجم بالنقل عن لسان العرب قبل ان عراه ما عراه، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن اهمها :

1 ــ قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في اللغة العربية (المادة والجهة والموجهة) وقد ذكر في تعريفها ان كيفية النسبة في القضايا (مادة) واللفظ الدال عليها (جهة) والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) .

2 ــ جمود اللفظ في معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبساطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بانه ينكمش في طبيعته حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كما هي حصاة غير متحولـــة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا اتهم بعض مستشرقـــة الافرنج ، اللفظ العربي بانه (كليشة) لا اكثر وسمي العربية (لغة الاكليشات) .

ــ نشوء العامية : وقد يرى عجيبا ان يعد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، او كان الاثر الفعال اليها ، ولكني على ما يرى من عجيب اؤكده بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المتزمتة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يعبر عن اغراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يتأتى لهم ان ينفصلوا باى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا هذه اللغة التي للخاصة رغم انها لغة التشريع والابتهالات ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة الا لاسباب ماسة لها حدتها ولها عنفها .

فالانصراف الذي نلمسه في العامية قد كان اذن لاسباب لا يحقر ابدا شأنها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد أوخذ بأن هذه النتائج التي لرتبها اذا سلم بأن العامية نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لاسباب اكثر وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

الا ان الاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح ، والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة الخطاب .

– ان الفوارق في اللغة قد حملت الواضع على اختصاصها الا اذ ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة تراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والمواقف من كل الجهات ، على منحى موزون خذ مثلا، (فعفعيل) الذي يظهر ان اصله (فيعل) (وفعليت) الذي يرجع الى (فعل) و (فعلين) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة التشاكلية ، وان كنت اقطع باني مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكني اطمئن اليها على اي الاحوال.

الا أن الملاحظة التي لازمتنا في دراسة الموازين، ان العربية كانت تصدر عن لواحق تزاد على الوزن اذا كان المراد الافادة عن معنى اللاحقة زيادة على معناه ، بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر في العربية كسابقة (است) في استفعل التي تفيد الطلب او الصيرورة او العد . واظن بأن هذا يقطع عرق النزاع كما يقولون من انه كان في العربية سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد ان نغوص في اشياء نحن بغنى عنها لاسباب وجاهية .

1 – انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا تخلو من البعثرة والفوضى ، وليس ذلك من عدم صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ، ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 – حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة ، ان ينضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير في الموازين الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية العريقة ، وان كانت ظواهر الدرس تقتضي بأن العربي كان يعتمد لواحق بعينها لدلالات بعينها ، ومن يشك في هذا اذا تناولنا بعيدين عن تشبيه الدهشة من استنفار عابث مثل فعلوت ، وفعللوت ، وتفعلوت ، وفعلان ، فعلم وفعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه يظهر فيها صورة قاطعة للتردد في أن العربية كانت خاضعة لما يدعونه باللواحق في مذهب زيادتها ، ولكن تشذبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزن لا تنفصل عنه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر.

ان هذه الموازين هي اصطناع للعربية بخلاف ما اذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط فانه يكون في غايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرك فرقا واضحا بينهما وان كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذى اخذت باسبابه على الموازين يعطي هذا وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق (وت) لم تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رايت في مفعلوت، وتفعاوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشروط من اهمها :

1 – ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على اكثر العدد الذي تكون منه كلمة في العربية . ان لاتجتمع فيها لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجيء منه (فعلاتين) (وكفعفعيل) لا يجيء منه فعفعلين) وهكذا من مثل هذه الانماط .

من الظاهر بأن اللاحقة تعتبر في اكثر من حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا اصليا يمكن أن تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن رغم انا نظن بانه مذهب العرب على صورة مؤكدة فالاخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية عن احياء اللواحق والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تاملنا في لائحة الافعال فنرى .

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة المادة تقول (رتج) للشيء فيه الغلق .

فعلل : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف تقول (زبدد) للمتعدد الزبد .

فعلاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي يوجد فيه الشيء وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشيء في غير انفصال ، تقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملا من كل الجهات تقول (رونان) اى صوت متكامل وآلة ذات روناق .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التاثر او الانفعال وعلى سرعة الاحتراق تقول (عصبت) لتاثر الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، تقول (نفسن) للرجل المختص بالاعمال النفسية كالمنوم المغنطيسي .

وهنالك ضروب شتى من انواع الفعل يتعذر علينا ان نوردها هنا .

وهنالك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل تمثال اي صورة شاخصة تقول (تظلال) للظل يتجسم فيصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المنفعل من الوصف باسباب مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تنور) للحشرة التي تضيء في الليل .

ـــ وكذلك الزيادة بالميم :

مفاعل : وتدل على المتصف بالمفاعلة بين منفصلين تقول (مداور) للذي يدير شيئا آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان ويميز عنه حين نقول (معفناء) للذى يوجد في مكان العفن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح ان يسمى به مكروب العفونة .

مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال وفعلة .

مفعلان : وهو يدل على اسباب الوصف فنقول للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل ايضا على مضامفة خصوصية (مفعل) فنقول (منظران) للمجهر المضاعف ...

وهنالك زيادة اخرى الا وهي زيادة النون .

فنعال : فناعل : فعنلى ، فنعلاء ، فعنلال ، فعنلوه ، فعنعل ، فعنلة ، فنعل .

الزيادة بالواو .

هفعولة : وتدل على اشاعة الوصف بحيث ينتسب الى كل جزء على انفراد اذ نقول (هرمول) للارض التي تشيع الرمال ، في كل مكان من انحائها ، ونقول كذلك هركولة ، ولقد اتى في هذا المعنى عند الشاعر الجاهلي الاعشي ، بقوله :

هركولة فنق درم مرافقها
تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل

وهذا في وصف امراة في احد ابياته الشهيرة في وصف النساء ، فهنا اتت كلمة هر كولة في المعنى المناسب .

فهركولة اذن هي المراة السمينة ذات الارداف

ـ وهنالك الزيادة لبعض الافعال من مثل :

فعوال ، فوعال ، فوعل ، فوعلاء ، فعول ، فوعلل .

الاوزان الكيماوية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسيجين، الذي يعرف في اللغة الغربية بكلمة اكسيد . قبل

الاسم الممتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التـاء المتحركة ويصير الوزن فعليلة .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجيـن وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقـي ويميز باسـم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة اسيد ، على الاسم المتحد مثل (اسيد كلوريدريك)

الاوزان العدديـة :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الآحادي نقول عقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المثوى نقول (عقدان) لما فيه المائة الى الالف عقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الربـع نقـول (مشهر) أي ربع شهر يقال (مجلة مشهرية) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا نكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعـال والاوزان ، التي كانت داء في العربية وعرضنا كذلـك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقـت اللغة العربية طوال عهدها .

اللغة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القسـم من الفصـل الخامس هو ان اللغة العربية الفاظ يعبر بها كل قـوم عن اغراضهم ، وهما يحتاجون اليه ، فاذن هي غاية كي يجعلها دون الغرض تتناوله للكشف عنه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللغة في دورها النشوئي، واما هي بعده فمجموعة من الافكار ، والتقاليد، والعواطف، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما اصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن اصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا تزال دونه في الاعتبارات كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتأتى لنا ان نصفها بالطفيليـة لا يسهل تعليلها اذا كانت اللغة وسيلـة ، فقط تكيفهـا المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقـرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفـاظ وجودهـا الشاخص او الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة اخـرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهـذا رأي لا ننفرد به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنـا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايـات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غيـر استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتأتى لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في اسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجـددة لا المستقرة دلالة مقايسة فاذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة **المحضة** بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان لالفاظ اللغة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد أحيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلـك على كمالها في خيال الاديب او العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتأثر كل من يتذوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونقة الالفاظ ورصاعة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضـا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي عموما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، ان ينطـوي على حفيظـة مغرضة من هذا النوع واسميها ، مغرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح بأيـة مناقشـة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللغة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من انواع الرياضيات والعلوم ، وقرر مالم يكن في معرفة الكثيرين الديـن يفزعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن عبث .

وان دلالة مفردات اللغة على المعانـي المتجددة دلالة مقايسة وموازنه ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوادت متعددة بتعدد الاشخاص اللافين .

لنقول شيئا عن بيان ابيات الشعر لندل فيهـا على ما يجدر بالناقد البصير ان يميزه ، أعني به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبنـي عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال قيس بن الملوح في ليلى :

بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح او قبلـت فاهـا

وهل رفت عليك فـــروع ليلـــى
رفيف الاقحوانة فى مداهـــــا

ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء العرب جميعا .

وهو لا يزيد فى اعتبارهم على (بريك) أو لعمرك وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على أن قيس كان يقول هذه العبارات ليس اكثر من الحنف والتأكيد . وهـذا مـا يسمى مزاحمة تعبيرا فى محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بأن المجنون يرى العبث فى ظل التي يهوى ويحب سعادة دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي يبكيها ابدا فى انشودة الحزن المرة . بهـذا النظـر الطالـع للقسم حين يستفهمه عن شكل من الاشكال تلك السعادة ولون ترى من الوانها مرسوما بضمة السحر وقبلة فى عين الصبـــاح .

ومهما يكن من امر فان غاية كل لغوي خدمـــة العربية وانماؤها والخروج بها من قوقعتها الضيقـة فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجدد القول بأن اللغة العربية هي لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ، وان الفكر العربي مغلول بعبوديات كثيرة اهمها عبودية العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر فى الجانب اللغوي منهـــا .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومرآة فكره ، بل قد تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للابداع والخلق ومرادف الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية لا وسيلة ، منذ كان الانسان غاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانسـان العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن اسهلها وامرنها واينها ، هي اصلـح مـن اترابها مـن اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك اثبت الفوضى فى تاريخنا واستجـلاء بداية العربية ثم مسايرتها فى ادوار رقيها وحلقـات تطورها حتى خروج اصحابها من جزيرتهم وتوقفهـا المفاجيء قبل اتمام دورتها التطوريـة ، مما حملهـا بعض الغلائق المتخلفة فى الافعال والمصادر والجموع، والاوزان ومما زاد فى عمر هذه المتخلفـات تزمـت اللغويين القدامى، ومتابعة المحدثين لهم .

هذا داء العربية تنفثه جهـات خارجيـة عن طبيعتهـا .

اما دواؤها فتخليصا من التزوير عليها ، الا زورا عما تريد هي وعما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد افصحنا عنه وهو حذف السماع من اللغة وتحكيم القياس فمغنى العربية انما يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من اي شيء آخر وفى تحديد معاني الموازين وصوغها من اى ثلاثي كان وكذلك موازين الرباعي وفي توحيد معاني المشتقـات جميعا للمادة ومن التنسيق لشكلياتها المختلفـة ، الخارجية كالخط والاملاء ، والداخلية كالبيان والمعاني والعروض والصرف والنحو .

فى الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطـور فى اللهجة واللغة . وادراك المعقـول العربـي من خـلال ادوارها النشوئية ويرجع هذا التاخيـر فى اللغـة لسببيـن :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسمـاع ، ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصـر الجديدة ...

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه فى احدى الفصول بالسير بالعربية بعـد توقفهـا ، ولدفعها نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالـدة بين اشيائه الباقية .

وفى سبيل ذلك المستقبل المنشود للغتنا العزيزة وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا فى المغرب الى اخراج مثل هذه الدراسات والابحاث .

وفى هذا السبيل اغتنم الفرصة لابـداء بعض الملاحظـات .

1 ـ ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا اللغويـة .

2 ـ الانطلاق بثورة صحيحة فى اللغة العربية وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيـد من طاقاتها اللغوية .

3 ـ نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ، فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية ان تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم بـذلـك .